صلاح الدين وموقعة حطين

من أمين الريحاني
الى محمد اسعاف النشاشيبي

قرأ الأستاذ أمين الريحاني خطبة الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي في (موقعة حطين) فكتب هذا الكتاب ومنه قوله :

« حيا الله الأخ الأعز ، والصديق الأبر
حبر أحبار اللغة العربية ، حياه الله
كبير أنصار الوحدة القومية ، حياه الله
رافع أعلام النبوة الخضراء والحمراء
لإعزاز العرب
ولبلوغ الأرب
ولمدّى من اغترب — حيّاه ، حياه الله
النافخ في الصور ، المنهض المحرّض المثير ، حياه الله
بحر البلاغة الزاخر ، وأفق المعاني الباهر ، ومسرح البيان الساحر ، حيّاه الله

* * *

إن بيانه لإعصار فيه نار
وإنه لسماء تتلألأ بالأنوار
وإنه لبستان قلبه من النرجس وعينه من الجلّنار
وإنه لمعرض من بنات الأفكار ، بنات العرب الأبكار
معرض الحب والجمال
من بنات السهول
وبنات البوادي
وبنات الجبال
بنات المروءة والاستقلال ، حياه ، وحياهن الله
والسلام والصلاة على كل من يردون التحية ، ويسارعون فزعين مناصرين
الله أكبر ، الله أكبر ، والوطن الأعز الأقدر ، والاستقلال الأتم الأنور .
الله والوطن والاستقلال
الله والوطن والاستقلال
لا حياة دون الثلاثة لأمة
ولا مجال ، حتى لشبح من الآمال

* * *

إن لندائك صوتاً بعيد الصدى والقرار
وإن بيانك لجدير باكليل من النار
وبتهليل الأحرار
وبصلوات الأبرار
وإن إيمانك وإيماننا لمن لدن الجبار ، رب العلم والاقتدار
القائل بلسانك ولساني : اليوم جهاد وغداً انتصار

أمين الريحاني

* * *

وهذا قسم من تلك الخطبة وهو خاتمتها :

« محمد بن عبد الله ، محمد بن عبد الله !
نحن جماعتك ، نحن شيعتك ، نحن منتمون إليك ، منتمون إلى قرآنك ، منتمون إلى دينك
هل تريد أن نبيد ، هل تريد أن يبيد قرآنك ، أن تبيد لغتك
هل تريد أن تضيع بلادك ، أن تهلك أمتك ؟ ؟
محمد !
أدركنا ، أنجدنا ، خلّصنا ، أنقذنا ، نجّنا ؛ إن الأعادي تداعت[1] من كل صوب علينا ، ونحن في الدنيا جنودك ، نحن في الدنيا رجالك ! !
أبا القاسم ، أبا القاسم !
إن التخلي عن الأحباب يوم الضنك ، يوم الضيق ، يوم البؤس ، يوم الكرب — ممقوت
أبا القاسم ، أبا القاسم ، إنا لسنا بالحريصين على الحياة ، إنا لسنا بالحريصين على بقاء ، إنا لسنا بالحريصين على هذه الدنيا وزينتها وزخرفها .
البقاء والفناء عندنا سواء ، الحياة كالممات ، والممات كالحياة .
الوجود كالعدم ، والعدم كالوجود

(١) تداعت عليهم القبائل من كل جانب اجتمعت عليهم وتالبت بالعداوة

أبا القاسم ، أبا القاسم ! إنا إنما نبغي أن نكون فى الدنيا من أجلك لأجلك ، لأجل قرآنك ، لأجل لغتك ، لأجل عربيتك. ولولا أنت ، لولا أنت لصحنا : حيَّ على الفناء ، حيهل بالفناء ، وعلى الدنيا العفاء

هاتف من وراء الغيب يقول : لا تحزنْ ، لا تيأس ، لا تقنط نور الدين ، صلاح الدين ، حطين

* * *

إنْ خذل قرآنى ، إن خذل دينى ، إن خذل إسلاميتى ، إن خذل عربيتى ، متسمّى بالخليفة فى بغداد ، متسمى بالخليفة فى القاهرة متسمى بالخليفة فى المغرب ...

إن خذلنى سلاطين مشتغلون باللاهى ، قد ألهتهم عنى بنات الليل . وإنْ أولئك ، وإن هؤلاء إلا أسماء ، إن هم إلا هواء ...

إن خذلنى خاذلون « كرِهَ اللهُ انبعاثهم فثبَّطهم وقيل : اقعدوا مع القاعدين »

إن خذلنى خاذلون مخذولون فعندى عندى محمديان ، بكريان ، عمريان ، علويان : عندى بطلان ، عندى سيفان من سيوف الله المدخرة ليوم باسلٍ ذى أيام[1] . كل واحد بأمة ، كل واحد بأمم جمّة ، كل واحد بجميع قطين الأرض

عندى بطلان يجيئان وينقذان بلادى وأمتى ودينى وقرآنى وعربيتى ولغتى . خُذْ ، خذواً :

محمود بن الشهيد[2] ويوسف بن أيوب ؛ ثم اذهب واذهبوا ، واشهدْ واشهدوا موقعة حطين !!!

قد أمسى الصليبيون فى الهالكين « وكم أهلكنا قبلهم من قَرْنٍ ، هل تُحس منهم من أحد أو تسمع لهم رِكزًا »

حِطّين ، حطين ، حطين !!!

لولا حطين ، لولا حطين لهلك المسلمون

لولا حطين ، لولا حطين لاضمحلت لغة الضاد . يوم بَدْر ، يوم اليرموك ، يوم حطين

* * *

(١) يوم ذوايام ويوم كايام : شديد قال النابغة :
إنى لأخشى عليكم أن يكون لكم من أجل بغضائهم يوم كايام
(٢) إن لم يشهد نور الدين هذا اليوم فهو الذى خرج صلاح الدين وحفظ البلاد حتى وليها طارد الفرنج

أيها الغربيون ، إرجعوا إلى بلادكم مذمومين مدحورين ! انقلبوا إلى دياركم خائبين مقهورين !

أيها الغربيون ! علمكم نور الدين وصلاح الدين مالم تكونوا تعلمون : علماكم المروءة والوفاء ، ومكارم الأخلاق والعدل ، وأن تكونوا متمدنين مهذبين . لكنكم ، لكنكم تلاميذ ألفينا كم بعد قرون (أرى الله بكم[1]) جهالا أغمارا ، غير كرام ، غير متمدنين ، غير مهذبين

* * *

نورَ الدين ! صلاح الدين ! إن القوم قد رجعوا ، إن القوم قد عادوا ، وأعادوها بعد قرون جَذَعة

* * *

النبى ، غوروا ، قد أتانا ما قلتما ، فتعلّما أنها لما تنته

أيها الغربيون ! هذى بلادنا ، هذه الداردارنا ، زايلوا بلادنا ، غادروا بلادنا . إنا لكم ، ولسلطانكم ، ولوجوهكم (شاهت وجوهكم ، لاحياها الله وجوها) ولدنيتكم المموّهة الكاذبة المزوزة ، ولظلمكم ولجوركم ، ولانتقامكم — من القالين ، من المبغضين ، من المنكرين ، من الجاحدين ، من الكافرين ...

هذى البلاد بلادنا . اخرجوا من بلادنا ! إلى بلادكم ! إلى بلادكم أيها الطارئون

* * *

هناك محمد ، هناك محمد ...

« والدهرُ بالناس دوّارىٌّ[2] » ...

والدنيا دول ...

« وتلك الأيام[3] ... »

« ووراء الغيب ما رواء الغيب »

(١) أرى الله بهم : نكل بهم
(٢) يدور عليهم بأحواله المختلفة
(٣) قال الله تعالى: «ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين، إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء ، والله لايحب الظالمين . أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين »